التماسك النصي من خلال الإحالة الضميرية في سورة المعارج

د. حمد بن عبدالله بن حمد السيف (*)

ملخص الدراسة:

هذه دراسة متخصصة في مجال اللسانيات النصية التطبيقية، تسعى إلى الكشف عن آليات التماسك النصي من خلال دراسة دقيقة للإحالة الضميرية في سورة المعارج، تقوم على ثلاثة مباحث، تحاول أن تقدم صورة شاملة عن دور الإحالة الضميرية في تحقيق التماسك النصي في بناء سورة المعارج. تبدأ بالتحليل التفصيلي للضمائر الشخصية كأدوات أساسية للربط، ثم تنتقل إلى دراسة المقارنات كآلية متقدمة لتعميق المعنى، وتحقيق التماسك الدلالي، ثم تنتهي بإظهار الأثر الشامل لهذه العناصر على المستويات المختلفة للنص. هذا التدرج في التحليل يكشف عن التعقيد والدقة في البناء النصي القرآني، ويؤكد أن التماسك في النص القرآني ليس مجرد ترابط شكلي، بل منظومة متكاملة تجمع بين الجوانب النحوية والدلالية والبلاغية لتحقيق الإعجاز القرآني.

والدراسة تحاول أن تقدم نموذجًا تطبيقيًّا يمكن الاستفادة منه في دراسات مماثلة على سور قرآنية أخرى، كما تربط بين النظريات اللسانية الحديثة والتراث العربي في دراسة النص القرآني؛ مما يفتح آفاقًا جديدة في مجال الدراسات القرآنية واللسانيات التطبيقية.

الكلمات المفتاحية: التماسك، النصي، الإحالة الضميرية، سورة المعارج.

(*) الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية وآدابها– كلية اللغات والعلوم الإنسانية – جامعة القصيم – المملكة العربية السعودية.

Study Summary:

This specialized study in the field of applied text linguistics seeks to uncover the mechanisms of textual cohesion through a meticulous examination of pronominal reference in Surah Al-Ma'arij. It is structured around three main sections, aiming to provide a comprehensive overview of the role of pronominal reference in achieving textual cohesion within the structure of Surah Al-Ma'arij. The study begins with a detailed analysis of personal pronouns as fundamental linking tools, then moves to a comparative study as an advanced mechanism for deepening meaning and achieving semantic cohesion. Finally, it concludes by demonstrating the overall impact of these elements on the various levels of the text. This gradual approach to analysis reveals the complexity and precision of the Qur'anic textual structure and confirms that cohesion in the Qur'anic text is not merely a formal connection, but rather an integrated system that combines grammatical, semantic, and rhetorical aspects to achieve the Qur'anic miracle.

The study also attempts to present an applied model that can be utilized in similar studies of other Qur'anic surahs. Furthermore, it connects modern linguistic theories with the Arabic tradition in the study of the Qur'anic text, thus opening new horizons in the fields of Qur'anic studies and applied linguistics.

Keywords: Cohesion, Textual, Pronominal Reference, Surah Al-Ma'arij.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، وكتاب الله المنزل على نبيه محمد (ﷺ) وقد حظي هذا الكتاب العظيم باهتمام العلماء والباحثين على مر العصور، فعكفوا على دراسته واستنباط مواطن الإعجاز فيه؛ حيث إنه معجز في دقة ألفاظه وعباراته وتراكيبه من حيث ترابط ألفاظه وآياته بعضها ببعض، فقد جاءت متسقة المباني منسجمة المعاني؛ لذلك كان سعيهم للبحث عن كيفية هذا الترابط والتماسك.

والتماسك النصي من أهم موضوعات تحليل الخطاب واللسانيات النصية؛ حيث يهتم بدراسة الروابط والعلاقات التي تربط بين أجزاء النص وتجعله وحدة متماسكة ومترابطة، ومن أبرز وسائل تحقيق التماسك النصي الإحالةُ الضميرية، التي تعد من أهم أدوات الربط بين عناصر النص.

ولأهمية التماسك النصي في تحليل الخطاب، فإن دراسة التماسك في النص القرآني تكتسب أهمية خاصة؛ نظرًا لما يتميز به النص القرآني من إعجاز بياني وتماسك محكم، ومن بين الظواهر اللغوية البارزة في النص القرآني ظاهرة الإحالة الضميرية، التي تعد من أهم وسائل الربط والتماسك النصي؛ لذا اخترنا سورة المعارج كنموذج لدراسة التماسك النصي من خلال الإحالة الضميرية؛ لما تتميز به هذه السورة من كثافة في استخدام الضمائر، وتنوع في أنماط الإحالة، فجاء عنوان هذا البحث: (التماسك النصي من خلال الإحالة الضميرية في سورة المعارج).

وإيماءً إلى ما سبق، فإن البحث يسعى إلى دراسة دور الإحالة الضميرية في تحقيق التماسك النصي في سورة المعارج، من خلال تحليل أنواع الضمائر المستخدمة وأنماط الإحالة وعلاقتها بالسياق، كما يسعى البحث إلى الكشف عن الوظائف الدلالية والتداولية للإحالة الضميرية في السورة.

أهداف الدراسة: تسعى هذه الورقة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. الكشف عن خصائص النظام الإحالي في السورة على المستويين التركيبي والدلالي.

٢. تحليل دور الإحالة في تحقيق التماسك النصي وبناء المعنى.

٣. بيان العلاقة بين النظام الإحالي والمقاصد الدلالية للسورة.

وهذه الأهداف تسعى إلى تقديم رؤية لدور الإحالة الضميرية في سورة المعارج، وإظهار أهميتها في تحقيق التماسك النصي وفهم المعنى القرآني.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث فيما يأتي:

١. دراسة جانب مهم من جوانب الإعجاز القرآني.

٢. تطبيق نظريات التماسك النصي على النص القرآني.

٣. الكشف عن دقة النظم القرآني في استخدام الضمائر.

٤. تقديم نموذج تطبيقي لدراسة الإحالة في النص القرآني.

منهج البحث: يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة اللغويات القرآنية وتوجيهاتها النحوية والسياقية في سورة المعارج، كما سيتم ربط التحليل النحوي بالسياق الدلالي لتحديد التأثير الذي تتركه هذه الدراسة على المعاني المستخلصة من الآيات.

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في الكشف عن النظام الإحالي في سورة المعارج ودوره في تحقيق التماسك النصي، ويمكن تحديد أبعاد المشكلة في التساؤلات الآتية:

١- ما أنماط الإحالة الضميرية في السورة وخصائصها النحوية والدلالية؟

٢- كيف تسهم الإحالة في بناء العلاقات النصية داخل السورة؟

٣- ما دور النظام الإحالي في تحقيق مقاصد السورة وأغراضها؟

حدود البحث: تتناول هذه الدراسة اللسانيات اللغوية النصية والتطبيق على سورة المعارج.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات كثيرة تناولت الإحالة والسبك النصي في الآونة الأخيرة، منها دراسة بعنوان:

١- الإحالة وأثرها في تماسك النص القرآني، سورة الكهف أنموذجًا، صليحة قعبي، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب، ٢٠١٦م.

٢- الإحالة النصية في سورة النور، عائشة جمعي، جامعة يحيى فارس، كلية العلوم الإسلامية، المجلد ٣٤، العدد ٤- ٢٠٢٠م.

٣- الإحالة في سورة العنكبوت، من منظور لسانيات النص، نور الهدى جبايلي وصبرينة سعدون، جامعة الشهيد الشيخ العربي، كلية الآداب، الجزائر، ٢٠٢٣م.

٤- التماسك النصي في جزء عم، نوال فالح محمد ربابعة، ٢٠١٥م، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، كلية الآداب.

٥- التماسك النصي في سورة النبأ، أمين لقمان الحبار، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٧م، مجلة التربية والعلم، المجلد(١٤)، العدد٢، ٢٠٠٧م.

٦- تحليل التماسك المعجمي في سورة القيامة، صفاني مولد حاجة، كلية التربية، جامعة شريف هداية، جاكرتا، ٢٠٢٢م.

٧- التماسك النصي من خلال الإحالة والحذف، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، محمد الأمين مصدق، تحقيق: عبد الكريم بورنان، جامعة الحاج لخضر،١٤٢٦هـ- ٢٠١٥م.

٨- التماسك النصي في سور: (النبأ والنازعات وعبس والتكوير)، إبراهيم جميل محمد، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم، كلية الآداب، يونيو ٢٠١٢م.

٩- التماسك النصي في سورة التكوير من خلال الإحالة الضميرية، دراسة نصية، حمد بن عبد الله بن حمد، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية.

وتتميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة، بأنها ستتناول التماسك النصي في سورة المعارج وبصورة مركزة من خلال الإحالة الضميرية، والإحالة بالمقارنة، وأيضًا دراسة التماسك النصي على مستوى التركيب، والدلالة، والنص الكلي في سورة المعارج.

خطة البحث: قد جاءت هذه الدراسة في ثلاثة مباحث تسبقها مقدمة وتمهيد، وتليها خاتمة ثم ثبت بأهم المراجع التي تناولها البحث، وجاءت كالآتي:

المقدمة

التمهيد

– التعريف بسورة المعارج

– مفهوم الإحالة والتماسك النصي

– الدراسات السابقة

المبحث الأول: الإحالة بالضمائر الشخصية

– إحالة ضمائر المتكلم

– إحالة ضمائر المخاطب

– إحالة ضمائر الغائب

المبحث الثاني: الإحالة المقارنة

– المقارنة بين المواقف المتقابلة

– المقارنة في الطبيعة البشرية

– المقارنة بين المؤمنين والكافرين

المبحث الثالث: أثر الإحالة في التماسك النصي

– على مستوى التركيب

– على مستوى الدلالة

– على مستوى النص الكلي

الخاتمة

– أهم النتائج

– التوصيات

تمهيد:

تعدُّ الإحالة من أهم وسائل التماسك النصي والضمائر من أبرزها وأكثرها قدرة على صنع التماسك والسبك النصي شكلًا ودلالة، وقد تجلت القيمة التعبيرية للضمير في سورة المعارج؛ إذ شكلت الإحالة الضميرية من نص السورة نسيجًا تعبيريًّا مترابطًا ربطًا دقيقًا محكمًا، فقد كانت بمثابة الجسر الذي يربط محاور السورة، ومنحت النص بلاغة تعبيرية عن طريق سبك الجمل في سورة المعارج، وهذه الإحالات الضميرية تبني علاقات تواصلية بين النص والمتلقي أو القارئ له، وهذا ما سنتناوله في الصفحات الآتية:

- التعريف بسورة المعارج:

هي سورة مكية، من المفصّل، وعدد آياتها (٤٤ آية)، سميت هذه السورة في كتب السنّة وفي (صحيح البخاري) و(جامع الترمذي) وفي (تفسير الطبري) وابن عطيّة وابن كثير (سورة سأل سائل)، وسميت في معظم المصاحف المشرقية والمغربية وفي معظم التفاسير (سورة المعارج)[١]. وقيل: إنها تسمى (سورة الواقع)[٢]، وهذه الأسماء الثلاثة مقتبسة من كلمات وقعت في أولها، فنجد أخصها جملة {سأل سائل}؛ لأنها لم يرد مثلها في غيرها من سور القرآن إلاّ أنها غلب عليها اسم (سورة المعارج) لأنه أخف.

وهي السبعون من حيث الترتيب في المصحف، وهي السورة «التاسعة والسبعون»[٣] من القرآن حسب النزول، في الجزء التاسع والعشرين، بدأت بفعل ماض ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، نزلت بعد سورة "الحاقة"، وهي من السور الأوائل التي نزلت في مكة، ومقصدها الإعلام عن حسن تدبير الله شئون مخلوقاته، بحبله الموصول الدائم من السماء إلى الأرض بالأسباب والشريعة والدّين: إذ تعرج الملائكة والروح إليه بأمره وبأعمال العباد، وبالوحي وأرواح المخلوقات، وبكل ما فيه بقاء وصلاح وسعادة الإنسان على هذه الأرض.

١- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٨/٢١٩.

٢- المرجع السابق، ج٨/٢١٩.

٣- الجدير بالذكر أن الأقوال في ترتيب السور القرآنية حسب النزول، مختلفة.

– مفهوم الإحالة والتماسك النصي:

أ. التماسك لغة: تحصر المعاجم العربية (التماسك) في ثلاثة معانٍ: الاحتباس والاعتدال والارتباط، فقد ورد في الأصل (م س ك): تماسك، وتمسَّكَ واستمسك، ومَسَّكَ تَمْسِيكًا، كلُّه بمعنى: احتبس. "ومَسَكَ بالشيء مَسْكًا: أَخَذَ به وتعلَّق واعتصم، ويُقال: تماسَكَ البناءُ: قَوِيَ واشتدَّ، والتماسُكُ: ترابطُ أجزاءِ الشيء حسيًّا أو معنويًّا، ومنه: التماسُكُ الاجتماعيّ، وهو ترابطُ أجزاء المجتمع الواحد"[١].

ب. التماسك اصطلاحًا: "من خلال هذه المعاني التي أقرّها مجمع اللغة العربية في معجميه: الوسيط، والوجيز، تماسك البناء: قَوِيَ واشتدّ، والتماسك: ترابط أجزاء الشيء حسيًّا أو معنويًّا". "أرى صحّة استعمال مصطلح (التماسك النصي)؛ لكون النصّ بناء له أجزاء وعناصر، يحتاج إلى دعائم وروابط تقوّيه وتشدّ بعضه إلى بعض ليكون كالشيء الواحد، ويمكننا حملُ الترابط الحسّي على (التماسك عن طريق الأدوات الشكلية: النحوية والمعجمية)، وحمل الترابط المعنوي على (التماسك الدلالي) وهو ما يسمّى بـ (الانسجام)"[٢].

ويمكن القول: إن التماسك النصّي تعلّق عناصر النصّ بعضها ببعض، بوساطة أدواتٍ شكلية أو علاقاتٍ دلالية، تسهم في الربط بين عناصرِ النص الداخلية، والنصِّ والبيئة المحيطة من ناحية أخرى، لتكون في النهاية رسالة يتلقّاها متلقٍّ فيفهمها ويتفاعل معها سلبًا وإيجابًا.

"ازدهرت الدراسات النصية في الغرب في الربع الثالث من القرن العشرين، بعد أن أخذت الدراسات التخاطبية ممثلة في علم التخاطب pragmatics وتحليل الخطاب discourse analysis تتحدد معالمها متخذة من النص الوحدة الصغرى للتحليل، وكان أبرز ما يميز تلك الدراسات عن علم الدلالة أنها تدرس الخطاب الشفهي، والنص المكتوب

١– ابن منظور، لسان العرب، مادة (مسك)، ط ٢، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت. لبنان، ١٩٩٣، المعجم الوجيز، مادة (مسك)، ص: ٥٨١.

٢– د. أنس محمود فجال، الإحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني، ص: ٥٤ – ٥٧.

في ضوء سياقاتهما الداخلية والخارجية، لتترك دراسة الجملة في شكلها الوضعي وبمعزل عن السياق الذي ترد فيه موضوعا لعلم الدلالة"[١].

وتعدُّ لسانيات النص حقلًا معرفيًّا لغويًّا تكوّن بالتدريج في السبعينيات من القرن العشرين[٢]، ثم أخذت الدراسات اللسانية النصية في الازدهار خاصة مع فان دايك عند نشره مؤلفًا بعنوان: النص والسياق، وظهر بعده روبرت دي بو جراند الذي ألف كتابًا مهمًّا بعنوان: النص والخطاب والإجراء.

عرف صبحي إبراهيم الفقي لسانيات النص بأنها: "ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة، أهمها: الترابط والتماسك ووسائله وأنواعه، ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النص المكتوب والمقروء"[٣].

وقد نبه ظهور علم اللغة النصي إلى أن الجملة جزء من كل، وهذا الكل هو النص المترابط المنسجم المفيد، وهذا ما يحتم الإقرار بوجود وحدة لغوية أعلى من الجملة وهي الوحدة النصية.

إن التحول الأساسي في مسارات الدراسات اللغوية كمن في تجاوز حدود البنية اللغوية الضيقة وحدود الجملة كوحدة محورية في التحلل اللغوي واعتماد النص بمختلف أنواعه وحدة قاعدية لهذا التحليل، وهو صورة الخطاب الحقيقية التي يتم من خلالها التبليغ بين أفراد المجموعة اللغوية.

١- مشري أمال، الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه "عيون البصائر" أنموذجًا، جامعة محمد خيضر بسكرة – الجزائر، مقال نشر في مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية العدد ٣٦ الصفحة ٧١.

٢- ينظر: محمد الخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ط ١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٦١ – ٦٢ بتصرف.

٣- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، بين النظرية والتطبيق، ج١، دار قباء، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠، ص ص: ٣٣-٣٤.

فالاتصال لا يتم بواسطة وصف الوحدات النحوية، وإنما تم باستعمال اللغة في موقف أدائي حقيقي، أي بإنشاء نص ما وقد يطول هذا النص ويقصر، وهذا ما نبه عليه تمام حسان في مقدمة ترجمته لكتاب "النص والخطاب والإجراء" لروبرت دي بوجراند[١].

إن علم الدراسات النصية هو العلم الذي يهتم بوصف النص وتحليله، من جوانب عدة، أهمها: الترابط والتماسك، أو ما يسمى بالسبك والحبك، وهما من معايير النصية السبعة، كما حددهما "دي بو جراند" و"درسلر"، ولهما أثرهما في ترابط النص وتماسكه.

ويعرف "سعيد حسن بحيري" لسانيات النص أو نحو النص فيقول: "يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم سياقات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها وبعبارة موجزة قد حددت للنص مهام بعينها لا يمكن أن ينجزها بدقة إذا التزم حد الجمل"[٢].

إن الدراسة النصية أو المنهج النصي من المناهج أو الدراسات التي تستهوي الباحثين؛ لأنها تفتح آفاقًا واسعة وتطلق العنان للباحث؛ لأن يحلل النص من عدة مستويات، فضلًا عن أنها تنظر وتبحث في النص كلًّا متكاملًا دون أي قطع أو تجزئة أو فصل، وهذا ما حاول أن يقوم به البحث في الصفحات الآتية.

١- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص: ٤.

٢- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص،ج١، ص ٩٩.

المبحث الأول: الإحالة بالضمائر الشخصية

فالسورة تتناول موضوعًا واحدًا أجملته المقدمة، وردت عليه الخاتمة، وعرضت بين المقدمة والخاتمة عرضًا مكوَّنًا من مشاهد موجزة تناسب العرض الموجز لكلٍّ من المقدمة والخاتمة.

الإحالة معيار مهم يعتمد عليه محلل النص حتى يثبت مدى اتساق نصه، وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين؛ هما: إحالة مقامية وإحالة نصية، وهذه الأخيرة تتفرع إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية. و"يَجد الباحث في موضوع الإحالة استثارة في التنقيب عن دَلالته، والبحث عن خبيئة؛ إذ تُعَدُّ أكثر أدوات الربط الاتساقية حضورًا في النصوص الأدبية، فهي مزيج من أدوات الربط كضمائر الغائب وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، فهي تُسهمُ في الربط بين مفاصل النصّ؛ إذ عّدها روبرت دي بوغراند من البدائل المهمة في إيجاد الكفاءة النصّية"[١].

والضمير "في فهم النّحاة هو ما دل وضعًا على متكلم، أو مخاطب، أو غائب وكان الربط بديلًا لإعادة الذّكر في الاستعمال وأدعى إلى الخفة والاختصار"[٢].

وقد وردت الضمائر في سورة المعارج في (٧٠) موضعًا، وقد توزعت كالآتي:

للمتكلم (٣) ضمائر (أنا – نحن– نا) في ستة مواضع، وللمخاطب (٢) ضميران (أنت– كاف الخطاب) في ثلاثة مواضع، وضمائر الغائب (٥) ضمائر (الهاء– هو– هي– واو الجماعة– هم) في واحد وستين موضعًا، وبهذا يكون عدد الضمائر بسورة المعارج (٧٠) ضميرًا.

١– مشري أمال، الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه "عيون البصائر" أنموذجًا، العدد ٣٦، ص: ٧١.

٢– الفاكهي، شرح الحدود النحوية، تحقيق: محمد الطيب الإبراهيم، ط١، دار النفائس ١٩٩٦، ص: ١٠٨.

المطلب الأول: إحالة ضمائر المتكلم

وردت ضمائر المتكلم في سورة المعارج في ستة مواضع، توزعت كالآتي: فقد ورد الضمير (أنا) المستتر مرة واحدة، وضمير المتكلم (نحن) الذي يدل على العظمة والرفعة ثلاث مرات، وضمير (نا) ورد مرتين.

للمتكلم نوعان: أنا للمتكلم وحده، ونحن للمتكلم المعظم نفسه، أو معه غيره، وأنا هو الأصل، ونحن هو الفرع. وتقوم الإحالة بضمائر المتكلم بدور بارز في إحكام بنية النص القرآني وتماسكه؛ لأنها تقوم بربط كل ما هو لفظي بما هو معنوي، وقد تبين ذلك كما هو موجود بالجدول الآتي:

المحال إليه	الإحالة	الضمير	نوع الإحالة	الآية
الله عز وجل	إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ	"نا"	إحالة داخلية إلى سابق	٣٩
الله عز وجل	فَلاَ أُقْسِمُ	"أنا"	إحالة داخلية إلى سابق	٤٠
الله عز وجل	إِنَّا لَقَادِرُونَ	"نا"	إحالة داخلية إلى سابق	٤٠
الله عز وجل	أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ	" نَحْنُ"	إحالة داخلية إلى سابق	٤١
الله عز وجل	وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ	" نَحْنُ"	إحالة داخلية إلى سابق	٤١

وهنا نجد الإحالة في قوله تعالى: {كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ}، حيث أشار جل شأنه بضمير المتكلم (نا الفاعلين)، والتقدير: إننا ليبين لهم بخطاب العظمة ما هم عليه من حال، فَلِمَ كل هذا الغرور؟

يعود الضمير المتصل (نا) في هذه الآية على الله عز وجل وصيغة الجمع هنا تقتضي التعظيم الذي يستحقه سبحانه، وهو إحالة لمذكور سابق.

وهنا يجيبهم القرآن المجيد فيقول: (كلا) ليس الأمر كذلك، وليس لهم حقّ دخول الجنّة، ثم يقول الله عز وجل: (إنا خلقناهم ممّا يعلمون)، ويريد اللّه بهذه الجملة أن يحطم غرورهم؛ لأنّه يقول: إنّكم تعلمون جيدًا مِمَّ خلقناكم؟ من نطفة قذرة، من ماء آسن مهين، فلماذا كلّ هذا الغرور؟ ويجيب ثانيًا على المستهزئين بالمعاد فيقول: إذا كنتم في

شك من المعاد فتمعنوا في حال هذه النطفة، وانظروا كيف خلقنا موجودًا بديعًا من قطرة ماء قذرة يتطور فيها الجنين كلّ يوم يتّخذ شكلًا جديدًا، ألن يقدر خالق الإنسان من هذه النطفة أن يعيد إليه الحياة بعد دفنه؟[١].

ثمّ يقول تعالى مؤكّدًا ذلك: {فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ}، فالإحالة هنا بضمير المتكلم المستتر (أنا)، يعود على الله عز وجل، وفيه تأكد قدرته على إعادتهم.

"يمكن أن يكون المراد بـ (ربّ المشارق والمغارب) بأن اللّه الذي يقدر على أن يجعل للشمس العظيمة مشرقًا ومغربًا جديدين في كل يوم، ويكون بنظام دقيق من دون أية زيادة أو نقصان مدى ملايين السنين –قادر على أن يعيد الإنسان مرّة أُخرى إلى الحياة الجديدة ويستبدلهم بقوم أفضل منهم"[٢].

وقد اختُتمت سورة المعارج بالقسم الجليل بالله رب السماوات والأرض على أن البعث حق كما هو العذاب أيضًا.

ثمّ يقول تعالى: {إِنَّا لَقَادِرُونَ}، لعل هذه الجملة إشارة إلى أنّنا لسنا قادرين على أن نعيد لهم الحياة بعد الموت فحسب، بل إنّنا نستطيع أن نبدله إلى أكمل الموجودات وأفضلها، ولا يمنعنا من ذلك شيء.

وبعد النفي نجد القَسَم من رب الكون المتصرف فيه وحده: ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ* عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾، وسواء كان المقصود الإبدال الأخروي بمعنى البعث –وهو ما ترشد إليه الصيغة والسياق– أو الإبدال الإكرامي للنبيِّ (صلى الله عليه وسلم) بمن يتبعه مصدقًا مؤمنًا –وهو ما يشهد له التاريخ والسياق– فكل ذلك في قدرة الله سواء، فلا عجزَ في حق الله أبدًا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾.

وأيضًا نلاحظ إحالة خارج النص؛ إذ إن القارئ لهذه الآية يستطيع القول إن تحديد المحال إليه في الضمائر الواردة يحتاج إلى النظر خارج النص القرآني نفسه، والتحديد

١– ينظر: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤ هـ، تفسيره ج٨/٢٢٥ – و: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت ١٣٧٦ هـ، تفسيره ج٨/١٨٨٦ .

٢– إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسيره، ج٨/ ٢٢٥.

يكون من المقام والسياق، فالضمير المتصل (نا) في الكلمات (إنا خلقناهم، إِنَّا لَقَادِرُونَ، فيها)، يعود إلى مرجع واحد هو الله وهو موجود خارج النص؛ مما يرتبط بعنصر غير لغوي، إن تلك الإحالات المقامية تسهم في إبداع النص؛ لأنها تربط اللغة بسياق المقام، غير أنها لا تسهم في اتساقه بشكل مباشر.

يقول تعالى: {عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ}، نلاحظ ضمير المتكلم المستتر (نحن) في قوله: (نبدل)، والضمير البارز (نحن)، العائديْن على الله –عز وجل– يدلان على العظمة والرفعة.

المطلب الثاني: إحالة ضمائر المخاطب

بلغت ضمائر المخاطب ستة عشر، وهي: (أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتن، إياكَ، إياكِ، إياكما، إياكم، إياكن، تاء المتكلم، تاء الخطاب، ألف الاثنين، واو الجماعة، ياء المخاطبة، نون النسوة).

ويسمى ضمير المتكلم وضمير المخاطب، ضمير حضور؛ لأن صاحبه لا بد أن يكون حاضرًا وقت النطق[١].

وردت ضمائر المخاطب في سورة المعارج في ثلاثة مواضع، توزعت كالآتي:

ورد الضمير (أنتَ) مرتين، كما ورد (كاف الخطاب) مرة واحدة.

المحال إليه	الإحالة	الضمير	نوع الإحالة	الآية
يا محمد	فَاصْبِرْ	أنت	إحالة إلى لاحق	٥
يا محمد	فذرْهُمْ يخُوضُواْ	أنت	إحالة إلى لاحق	٤٢
الرسول	فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ	كاف الخطاب	إحالة إلى سابق	٣٦

١– ينظر: وندوقة فوزية، ضمائر العربية، المفهوم والوظيفة، مجلة كلية الآداب للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع٦، جانفي ٢٠١٠، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ص: ١١٢.

نلاحظ الإحالة بضمير المخاطب المفرد في خطاب الله عز وجل لنبيه محمد (صلى الله عليه وسلم)، في قوله: **{فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا}**؛ ليلتفت الخطاب بعد ذلك التفاتة مزدوجة، ضرب بين مزدوجتيها بسورٍ ليس له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قِبَله العذاب؛ التفاتة إلى النبي (ﷺ) تأمره بالصبر المؤكد بمصدره "صبرًا"، وبوصفه: "جميلًا"، وإيحاء الالتفاتة للمكذب فيه له من العذاب ما فيه، فكيف يصبر من ينتظره يوم كهذا؟!

أي: اصبر يا محمد، والدعوة إلى الصبر صاحبت كل دعوة، وتكررت مع كل رسول ولكل مؤمن يتبع الرسول، فهي ضرورية لثقل المهمة ومشقة الطريق، والصبر الجميل هو الذي لا يصاحبه جزع ولا شكاية ولا قلق ولا ضعف ولا شك في وعد الله ولا تعجل؛ لأن أهل الإيمان يوقنون بأن الله –سبحانه وتعالى– ناصرهم.

فالصبر على أذى هؤلاء مع اليقين الكامل بأن الله معك ولن يتخلى عنك وأن يده –سبحانه وتعالى– وراء الأحداث وهو الذي يسيرها وهو الذي يدبرها، فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل. وقال تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ}، ثمّ يخاطب اللّه تعالى رسوله الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآية الأُخرى ويقول: (فاصبر صبرًا جميلًا)، والمراد بـ (الصبر الجميل) هو ما ليس فيه شائبة الجزع والتأوه والشكوى، وفي غير هذا الحال لا يكون جميلًا.

قال تعالى: **{فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا}**، نجد الإحالة الضميرية المصاحبة لفعل الأمر (ذرهم)، أي اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم، على جهة الوعيد، فيلتفتُ الخطاب للنبي (صلى الله عليه وسلم) مخففًا عنه مهوِّنًا عليه من ناحية، وموبخًا الكافرين ومهددًا إياهم بسوء المصير من ناحية أخرى فيقول: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، فلن يجني سوءَ فعله غيرُهم، ولن يحصد سوء زرعه سواهم.

نلاحظ إحالة ضميرية أخرى بـ (كاف الخطاب) في قوله تعالى: **{فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ}**، أي يقبلون نحوك من كل جانب مسرعين، و(مهطعين): جمع مهطع،

وتعني الذي يمدّ عنقه مقبلًا على شيء بسرعة للبحث عنه، وأحيانًا تأتي فقط بمعنى مدّ العنق لاستطلاع الأمر.

يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الْكُفَّارِ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَهُمْ مُشَاهِدُونَ لَهُ، وَلِمَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَمَا أَيَّدَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذَا كُلِّهِ فَارُّونَ مِنْهُ، مُتَفَرِّقُونَ عَنْهُ، شَارِدُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا فِرَقًا فِرَقًا، وشِيعًا شِيعًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ}[١]، وَهَذِهِ مِثْلُهَا؛ فَإِنَّهُ قَالَ تَعَالَى: {فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ} أَيْ: فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ عِنْدَكَ يَا مُحَمَّدُ {مُهْطِعِينَ} أَيْ مُسْرِعِينَ نَافِرِينَ مِنْكَ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: {مُهْطِعِينَ} أَيْ: مُنْطَلِقِينَ.

وإذا نظرنا إلى الضمائر من حيث الاتساق مكن التمييز فيها بين أدوار الكلام التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المخاطب والمتكلم، وهي إحالة إلى خارج النص.

المطلب الثالث: إحالة ضمائر الغائب

"إن ضمائر الغائب بلغت أربعة عشر، وهي: هو، هي، إياه، هما، إياهما، إياهم، هم، هن، إياها، إياهن، هاء الغائب، ألف الاثنين، واو الجماعة، نون النسوة. للغائب خمس ضمائر، أولها وأصلها (هو) للمفرد الغائب، ثم فروعه: هي (للمفردة الغائبة)، و(هما) للمثنى الغائب، و(هم) لجمع الذكور الغائبين، و(هن) لجمع الإناث الغائبات"[٢].

وردت ضمائر الغائب في سورة المعارج في واحد وستين موضعًا، وقد توزعت كالآتي:

وردت (الهاء) في ثلاثة عشر موضعًا، أما ضمير الغائب المفرد (هو) قد ورد في ثمانية مواضع، منهم موضعان لما لم يسم فاعله، في حين ورد ضمير المؤنث (هي)

١– سورة الْمُدَّثِّر: ٤٩، ٥١.

٢– عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة العصرية المتجددة، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ص: ٢٢٦–٢٢٧.

مرة واحدة، أما ضمير (واو الجماعة) فقد ورد في ثلاثة عشر موضعًا أيضًا، في حين ورد ضمير الجمع للغائبين الذكور (هم) في ستة وعشرين موضعًا، وهو أكثر أنواع الضمائر شيوعًا في سورة المعارج.

المحال إليه	الإحالة	الضمير	نوع الإحالة	الآية
العذاب	لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ	" الهاء"	إحالة إلى سابق	٢
الله عز وجل	تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ	" الهاء"	إحالة إلى سابق	٤
يوم القيامة	كَانَ مِقْدَارُهُ	" الهاء"	إحالة إلى سابق	٥
يوم القيامة أو العذاب	يَرَوْنَهُ بَعِيدًا *وَنَرَاهُ قَرِيبًا	الهاء، الهاء	إحالة إلى سابق	٦-٧
المجرم	يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيه	هو مستتر- الهاء	إحالة إلى سابق	١١
العذاب- أو جهنم	إِنَّهَا لَظَى	" الهاء"	إحالة إلى سابق	١٥
جهنم	تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى	هي	إحالة إلى سابق	١٦
الإنسان	خُلِقَ هَلُوعًا- مَسَّهُ الشَّرُّ- مَسَّهُ الْخَيْرُ	هو مستتر- "الهاء" "الهاء"	إحالة إلى سابق	١٩، ٢٠، ٢١

نجد الإحالة بضمير الغائب هي أكثر الأنواع انتشارًا وذيوعًا، مع اختلاف الضمير إفرادًا وجمعًا، قال تعالى: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ* لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ}[١]، أَيْ: "لَا دَافِعَ لَهُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ كَوْنَهُ"[٢]، وقد أحال الضمير المتصل "الهاء" في كلمة (له) إلى عنصر إشاري محوري (بعذاب)، إحالة قبلية داخلية، وربط أجزاء الكلام السابق منه باللاحق.

ونلاحظ أن العنصر المحيل والعنصر المحال موجودان في نفس الجملة، فالضمير المتصل "الهاء" في كلمة (له) يعود على كلمة (بعذاب)، وهنا يتبادر إلى ذهن القارئ مباشرة المرجع الذي يعود إليه دون بحث وعناء.

١- سورة المعارج: ١-٢.

٢- إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤ هـ، تفسيره ٨/٢٢٠.

وقوله (من الله) "يجوز أن يكون من صلة (واقع)، أي: يقع من عنده، وأن يكون من صلة (دافع)، أي: ليس له دافع من جهته إذا جاء وقته، وأوجبت الحكمة وقوعه"[١]. وذكر الزمخشري أنه يكون "من صلة محذوف على أنه صفة لعذاب بعد صفة، أي: بعذاب واقع كائن من الله"[٢].

ومن إحالة اللاحق إلى سابق نجد ضمير المفرد الغائب في كلمة (إليه)، والعائد إلى الله حيث قال: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ}، فالمحال إليه هو الله في قوله: {من الله ذي المعارج}، وَأَمَّا الرُّوحُ فيرى بعض المفسرين أنهُمْ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، يُشْبِهُونَ النَّاسَ، وَلَيْسُوا أُنَاسًا، بينما يرى ابن كثير أَنْ الْمُرَادَ بِهِ جِبْرِيلَ عليه السلام، وَيَكُونَ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ اسْمَ جِنْسٍ لِأَرْوَاحِ بَنِي آدَمَ، فَإِنَّهَا إِذَا قُبِضَتْ يُصعد بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ الْبَرَاءِ[٣].

ونجد الوصف الدقيق ليوم القيامة في قوله تعالى: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}، فضمير الغائب (الهاء) في كلمة (مقداره) دلت على المحال إليه (يوم)، واتصال ما بعده به بتماسك نصي بديع النظم يظهر جليًّا في قوله: {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا *وَنَرَاهُ قَرِيبًا}.

قَالَ: {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا} أَيْ: وُقُوعَ الْعَذَابِ وَقِيَامَ السَّاعَةِ يَرَاهُ الْكَفَرَةُ بَعِيدَ الْوُقُوعِ، أي مُسْتَحِيلَ الْوُقُوعِ، {وَنَرَاهُ قَرِيبًا} أَيِ: الْمُؤْمِنُونَ يَعْتَقِدُونَ كَوْنَهُ قَرِيبًا، وَإِنْ كَانَ لَهُ أَمَدٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– لَكِنْ كُلُّ مَا هُوَ آتٍ فَهُوَ قَرِيبٌ وَوَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ[٤].

والرؤية الأولى "بمعنى الظن والاعتقاد، والثانية بمعنى العلم واليقين، والضمير في يرونه المنصوب للعذاب، وقيل لهذا اليوم"[٥].

١– المنتجب الهمذاني (ت ٦٤٣هـ)، الفريد في إعراب القرآن المجيد، ط١، ٢٠٠٦، دار الزمان، المدينة المنورة، السعودية، ج٦/٢١٨.

٢– أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي–بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ج٤/١٣٨.

٣– إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤ هـ، تفسيره ٨/٢٢٠.

٤– ينظر: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤ هـ، تفسيره ٨/٢٢٢.

٥– المنتجب الهمذاني (ت ٦٤٣هـ)، الفريد في إعراب القرآن المجيد، ج٦/٢١٨.

ثم تأتي اللواحق في الآيات مرتبطة بالسوابق في قوله: {يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ}[1]، أي: يوم القيامة السابق ذكره (يَوْمِئِذٍ)، الذي يود المجرم أن يفتديَ نفسه من العذاب المذكور أول السورة، وقد أحيل إليه ضمير المفرد الغائب في الكلمات (وَصَاحِبَتِهِ- وَأَخِيهِ- وَفَصِيلَتِهِ- تُؤْوِيهِ- يُنْجِيهِ)، فالعذابُ وَاقِعٌ بِالْكَافِرِ، فلَا يُقْبَلُ مِنْهُ فِدَاءٌ وَلَوْ جَاءَ بِأَهْلِ الْأَرْضِ، وَبِأَعَزِّ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْمَالِ، وَلَوْ بِمِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا، أَوْ مِنْ وَلَدِهِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا حُشَاشة كَبِدِهِ، يَوَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا رَأَى الْأَهْوَالَ أَنْ يَفْتَدِيَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِهِ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ، و{فَصِيلَتِهِ} قَبِيلَتِهِ وَعَشِيرَتِهِ.

وَكَقَوْلِهِ: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}[2]. وقوله: {يُبَصَّرُونَهُمْ}، يجوز أن يكون مستأنفًا، وأن يكون صفة لحميم، واختُلف في معناه[3]. ثم يأتي عرض بعض مشاهد هذا اليوم العظيم الذي ينتظر "المجرم"، وهي صفة لنكرة، لكن كل كافر يدرك في قرارةِ نفسه أنه مَعْنيٌّ بها، داخل في معنى الوصف بها، وما عليه إلا أن ينتظر اليوم الموعود وهذه صفته يَقُولُ تَعَالَى: {يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ}، أي: كدُرْديّ الزَّيْتِ، {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ} أَيْ: كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ}[4].

وقوله: {يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ}، "يجوز أن يكون معمولًا نراه، وأن يكون بدلًا من قوله: (قريبًا)، وأن يكون معمولًا محذوفًا، أي: يقع، يدل عليه (واقع)، وأن يكون في موضع رفع

١- سورة المعارج: ١١.

٢- عَبَسَ: ٣٤ -٣٧.

٣- قيل: يعرف بعضهم بعضًا فيتعارفون، ثم يفر بعضهم من بعض، فالضمير المرفوع القائم مقام الفاعل للكفار، والهاء والميم لأقربائهم، أي: يبصر الله الكفار أقرباءهم في الآخرة، والضميران للحميمين، وإنما جُمعا؛ لأن المراد بهما العموم والجنس، والتقدير: يبصَّرون بهم، فحذف الجار، يقال: بصَّرته به وبصرته إياه. وقيل: المرفوع للمؤمنين والمنصوب للكافرين، يبصر الله المؤمنين الكفار يوم القيامة. وقيل: المعنى يبصِّر الله الكفارَ الذين أضلوهم في الدنيا في النار، فالضمير في يبصرون على هذا للتابعين من الكفار، والهاء والميم للمتبوعين منهم. المنتجب الهمذاني (ت ٦٤٣هـ)، الفريد في إعراب القرآن المجيد، ج٦/٢١٩.

٤- سورة الْقَارِعَةِ: ٥.

على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: وقوعه يوم تكون"[١]. وَقَوْلُهُ: {إِنَّهَا لَظَى} يَصِفُ النَّارَ وَشِدَّةَ حَرِّهَا، فهي {نزاعَةً لِلشَّوَى} أي: جِلْدَة الرَّأْسِ، أو الْجُلُودِ وَالْهَامِ، أو مَا دُونَ الْعَظْمِ مِنَ اللَّحْم، وَقَالَ الْحَسَنُ: "تَحْرِقُ كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ، وَيَبْقَى فُؤَادُهُ يَصِيحُ"[٢].

في الضمير المتصل للمفرد المؤنث الغائب (إنها) وجهان[٣]: أحدهما للنار، دل عليه العذاب، والثاني للقصة.

وهنا الإحالة بضمير المفرد الغائب المستتر (هي) في قَوْله: {تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى}، أَيْ: تَدْعُو النَّارُ إِلَيْهَا أَبْنَاءَهَا الَّذِينَ خَلَقَهُمُ اللَّهُ لَهَا، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَنَّهُمْ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا يَعْمَلُونَ عَمَلَهَا، فَتَدْعُوهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِسَانٍ طَلَق ذَلِق، ثُمَّ تَلْتَقِطُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْمَحْشَرِ كَمَا يَلْتَقِطُ الطَّيْرُ الْحَبَّ[٤].

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ –كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ– كَانُوا مِمَّنْ {أَدْبَرَ وَتَوَلَّى} أَيْ: كَذَّبَ بِقَلْبِهِ، وَتَرَكَ الْعَمَلَ بِجَوَارِحِهِ {وَجَمَعَ فَأَوْعَى} أَيْ: جَمَعَ الْمَالَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَأَوْعَاهُ، أَيْ: أَوْكَاهُ وَمَنَعَ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ فِي النَّفَقَاتِ وَمِنْ إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: "وَلَا تُوعِي فَيُوعِي اللَّهُ عَلَيْكِ"[٥]، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُكيم لَا يَرْبُطُ لَهُ كِيسًا وَيَقُولُ: سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: {وَجَمَعَ فَأَوْعَى}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْإِنْسَانِ وَمَا هُوَ مَجْبُولٌ عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الدَّنِيئَةِ: {إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا}، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا} أَيْ: إِذَا أَصَابَهُ الضُّرُّ فَزِعَ وَجَزِعَ وَانْخَلَعَ قَلْبُهُ مِنْ شِدَّةِ الرُّعْبِ، وَأَيِسَ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرٌ.

{وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا} أَيْ: إِذَا حَصَلَتْ لَهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ بَخِلَ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ، وَمَنَعَ حَقَّ اللَّهِ فِيهَا.

١- المنتجب الهمذاني (ت ٦٤٣هـ)، الفريد في إعراب القرآن المجيد، ج٦/٢١٩.

٢- إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤ هـ، تفسيره، ج٨/ ٢٢٥.

٣- المنتجب الهمذاني (ت ٦٤٣هـ)، الفريد في إعراب القرآن المجيد، ج٦/٢١٩.

٤- إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤ هـ، تفسيره ج٨/ ٢٢٥.

٥- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، رقم: ٢٤٥٠/٢٤٥١، ج٢ /٩٩.

ذكرت السورة هذه النقائص الثلاث في الإنسان في قوله تعالى: {إِنّ الْإِنْسان خُلِق هلُوعا} {جزُوعا}، {منُوعا}: ناسب ذلك جبر المؤمنين بذكر أوصافهم الثلاثة الجميلة حين استثناهم من عموم الناس، وأيضًا لما تقدم {لِأماناتِهِمْ وعهْدِهِمْ راعُون} وتحمل الشهادة من جملة الأمانة ناسب ذكر الشهادة بعد الأمانة.

ثُمَّ قَالَ: {إِلا الْمُصَلِّينَ} أَيِ: الْإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الذَّمِّ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ وَوَفَّقَهُ، وَهَدَاهُ إِلَى الْخَيْرِ وَيَسَّرَ لَهُ أَسْبَابَهُ، وَهُمُ الْمُصَلُّونَ {الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ} قِيلَ: مَعْنَاهُ يُحَافِظُونَ عَلَى أَوْقَاتِهِمْ وَوَاجِبَاتِهِمْ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالدَّوَامِ هَاهُنَا السُّكُونُ وَالْخُشُوعُ.

كَقَوْلِهِ: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ}[1]. قَالَهُ عُتْبَةُ بْنُ عَامِرٍ. وَمِنْهُ الْمَاءُ الدَّائِمُ، أَيِ: السَّاكِنُ الرَّاكِدُ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الَّذِينَ إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا دَاوَمُوا عَلَيْهِ وَأَثْبَتُوهُ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: "أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلّ"[2].

وقوله: {إلاّ الْمُصلِّين} عدّ عقيب ذكرهم الخصال المذكورة أوّل سورة المؤمنين، وزاد فيها {والّذِين هُمْ بِشهاداتِهِم قائِمُون}؛ لأنّه وقع عقيب قوله: {لأماناتِهِمْ وعهْدِهِمْ راعُون} وإقامة الشهادة أمانة، يؤدّيها إذا احتاج إليها صاحبُها، لإحياءِ حقّ.

فهي إذًا من جملة الأمانة، وقد ذكرت الأمانة في سورة المؤمنين، وخصّت هذه السّورة بزيادة بيانها؛ كما خصّت بإعادة ذكر الصلاة حيث قال: {والّذِين هُمْ على صلاتِهِمْ يُحافِظُون} بعد قوله: {إلاّ الْمُصلِّين الّذِين هُم على صلاتِهِمْ دائِمُون}.

نجد الإحالة بضمير الغائب المتصل للجمع (هم) في قوله تعالى: {أَيَطْمَعَ كلّ امرِئٍ مِنْهُم أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعيم}، يعود على الكافرين، وأيضًا الإحالة بضمير المفرد الغائب

---

[1]- سورة الْمُؤْمِنُونَ: ١، ٢

٢- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، حديث رقم: ٦٠٩٩، ج٤/ ١٣٧

المستتر العائد على (امرئ)، وقد أوضحت لنا الآية الكريمة طمع كل نفس كافرة في دخول هذه الجنات الدائمة وعن أفعالهم، وهنا نلاحظ أن الإحالة معيار مهم يعتمد عليه محلل النص حتى يثبت مدى اتساق نصه، فضمائر الغائب ساعدت على اتساق النص القرآني وانسجامه.

المبحث الثاني: الإحالة المقارنة

كل عملية مقارنة تتضمن شيئين –في الأقل– يشتركان في سمة مشتركة بينهما، وتتميز ألفاظ المقارنة بأنها تعبيرات إحالية لا تستقل بنفسها، وهو ما يؤهلها لأن تكون وسيلة من وسائل التماسك؛ ولذا فأينما وردت هذه الألفاظ اقتضى ذلك من المخاطب أن ينظر إلى غيرها بحثًا عما يحيل عليه المتكلم، وكما كان الأمر مع الضمائر وأسماء الإشارة، يحتمل أن يكون المرجع خارجيًّا، ويحتمل أن يكون داخليًّا، فإذا كان داخليًّا، فإما أن يكون المرجع متقدمًا، أو متأخرًا، ويمكن التمييز بين نوعين من المقارنة: مقارنة عامة، ومقارنة خاصة[1].

المطلب الأول: المقارنة بين المواقف المتقابلة

ومن أدوات الإحالة المقارنة نذكر (أدبر– أوعى) حيث وردت الكلمتان على وزن أفعل لبيان أن لظى تطلب من أدبر وتولى عن الطاعات إلا المصلين، وأيضًا تدعو مَنْ أوعى، أَيْ: جَمَعَ الْمَالَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَأَوْعَاهُ، أَيْ: أَوْكَاهُ وَمَنَعَ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ فِي النَّفَقَاتِ وَمِنْ إِخْرَاجِ الزَّكَاةِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: "وَلَا تُوعِي فَيُوعِي اللَّهُ عَلَيْكِ"[2].

وإذا نظرنا إلى المتضادات في سورة المعارج نلاحظ كثرتها وتنوعها لما لها من أهمة بالغة في ربط السياق، وبيان النص كوحدة واحدة، فبالضد تتضح الأشياء فنجدها تظهر

١– يمكن تصنيف الألفاظ التي تعبر عن المقارنة العامة في العربية في مجموعات: ١– ألفاظ المقارنة التي تعبر عن التشابه: ومنها "شبيه"، و"مشابه". ٢– ألفاظ المقارنة التي تعبر عن التطابق: ومنها "نفسه"، و"عينه"، "مطابق"، "مكافئ"، "مساو"، "مماثل"، "قبيل"، "مثيل"، "نظير"، "مرادف. ٣– ألفاظ المقارنة التي تعبر عن التخالف: ومنها "مخالف"، "مختلف"، "مغاير". ٤– ألفاظ المقارنة التي تعبر عن الآخرية: ومنها "الآخر"، "أيضا"، "البديل"، "الباقي". ويؤتى بالمقارنة الخاصة للتعبير عن الموازنة بين شيئين أو أكثر من حيث الكم أو الكيف، ويقوم اسم التفضيل في العربية بوظيفة المقارنة الخاصة.

٢– أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦هـ، صحيح البخاري، رقم الحديث: ٢٥٩١. المجلد ٣.

في الكلمات: (واقع- دافع)، (بعيدا- قريبا)، (السماء - الأرض)، (الملائكة- الإنسان)، (الشر- الخير)، (العادون- راعون)، (اليمين- الشمال)، (المشارق- المغارب).

وهذه الإحالات المتقابلة كان لها دور عظيم في تماسك النص، فالعلاقة هنا بين المفردات السابقة علاقة تقابل.

وقد ذكرت الآيات الكريمة عدة مواقف متقابلة تبين حال المؤمنين، وتوضح حال الكافرين المعرضين المنكرين للعذاب يوم القيامة، وهي كالآتي:

الحالة	الحالة المقابلة	التوضيح
وَاقِع	دَافِع	غير كائن في عيون الكافرين، حقيقة واقعة عند المؤمنين
يَرَوْنَهُ بَعِيدًا	وَنَرَاهُ قَرِيبًا	إنّهم لا يصدقون بوجود مثل ذلك اليوم، وهو قريب
إِنَّهَا لَظَى* نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى	أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُون	الجنة للمؤمنين- والنار للعصاة المتجاوزين
عَنِ الْيَمِينِ	وَعَنِ الشِّمَالِ	الإتيان عن اليمين والشمال
أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيم	كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُون	الطمع في دخول الجنة والزجر من الله والرد بالنفي
فَلاَ	أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُون	لا صلة أو رد لمنكر البعث والتوكيد والقسم من الله
الْمَشَارِقِ	وَالْمَغَارِبِ	توحي المقابلة بقدرة الله فكل شيء بقبضته
كَلاَّ	إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُون	ليس الأمر كذلك وليس لهم حقّ الدخول إلى الجنّة

١- تناولت الآيات الحديث عن منكري العذاب، فهم يرونه بعيدًا، والعذاب قريب منهم، ولن ينجيهم أحد من العذاب؛ لأنه جزاء من أعرض وتولى وجمع المال وضن به.

٢- تؤكد الآيات أن الكافر سيعذب ولن ينفعه أو ينجيه قريب أو حميم، وأن المؤمن يكرم في الجنة؛ لأنه يصلي وينفق ويُصدّق ويحافظ على فرجه وصلاته وعهده.

٣- يعذب الإنسان؛ لأنه جُبل على أن يكون (بدون صلاة) هلوعًا جزوعًا منوعًا، ولكي يزول هذا المرض وتُحل هذه المشكلة، يجب أن يكون من المصلّين المتبعين أوامر الله والمنتهين عن نهيه.

٤- نجد في قوله: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾، بعد ذكر صفاتهم الطيبة، أي: الموصوفون بهذه الصفات، وقوله: (في جنات) يجوز أن يكون من صلة (مكرمون)، وأن يكون من صلة محذوف على أن يكون خبرًا بعد خبر ل (أُوْلَئِكَ)؛ ليحيل الذِّهن إلى المقابلة بين ﴿ لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴾، وبين جنات وإكرام!

المطلب الثاني: المقارنة في الطبيعة البشرية

الحالة	الحالة المقابلة	التوضيح
﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾	إِلاَّ الْمُصَلِّين	الهلع نعمة وفضيلة للإنسان، لكنه بجهله وسوء فهمه يستخدمها في غير محلها فتهلكه
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ	فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُون	نجد ضمير الإحالة (هم) يبين حال الذي يحفظ فرجه إلا فيما أحله الله من زوجة أو ملك يمين، وحال العادين الذين يتجاوزون حدود الله

تذكِّر سورة المعارج بعض صفاتِ الإنسان الفطرية، فهو يتصف بالهلع والجزع والمنع، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ فهو جَزُوع إذا مَسَّهُ الشَّرُّ وهو مَنُوع إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ، فحقيقةُ الإنسان الهلَعُ، وعدم الصبر عند الجزع، فكيف يصبِرُ في مثل هذا اليوم، وعلى مِثل هذا العذاب؟! وهذا عذاب نفسي شديد الوقع والاحتمال، ثم يستثني

طائفة منهم نلحظها في قوله: {إِلاَّ الْمُصَلِّين}، وها هي صفاتهم قد بينتها الآيات التالية للاستثناء.

وفي الاستثناء إحالة، فهي تصور النفس البشرية في السراء والضراء، ففي حالة الخواء من الإيمان (إِنَّ ٱلإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا)، وفي حالة تنوّرها بنور الإيمان (إِلَّا ٱلمُصَلِّينَ).

كما تتغير المشهودات فنجد الإحالة البدلية ل (يوم)، فتكون السماء كنخالة الزيت، وتكون الجبال كالصوف المنفوش، إنه يومٌ يتغيَّر فيه كل شيء عن طبيعته؛ فالسماء غير السماء، والأرض غير الأرض؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾[١]، والجبالُ القاسية الصَّلدة تستحيل كالصُّوف اللين الذي تعبَث به الرياح!

ومن هول هذا المشهد العظيم تتغير النُّفوسُ البشرية أيضًا؛ فـ ﴿لَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾، ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[٢]، ولا يكفي النفوس ذلك التبدل والتغير، ويتضح بالإشارة إلى ذلك اليوم (يومئذ) حيث يُضحِّي المجرم بأحبِّ ما كان يحب من أجل سلامة نفسه، ويظهر حب الذات في أعلى تجلياتها، وأبرز مظاهرها، ويود المجرم لو افتدى بما يملِكُ وما لا يملِكُ! ولكنها لا تنفع ولا تفيد!

لا شك في أنّ الغريزة الجنسية من غرائز النفس البشرية الشديدة والطاغية، وبسببها يكون الكثير من الجرائم الكبيرة؛ ولذا كانت السيطرة عليها وحفظ حدودها من العلامات المهمّة للتقوى، وبهذا ذكرت أهمية السيطرة على هذه الغريزة بعد تبيان أهمية الصلاة وإعانة المحتاجين والإيمان بيوم القيامة والإشفاق من عذاب اللّه.

فنلاحظ الإحالة للبعيد الغائب باسم الإشارة وضمير الجمع، في قوله تعالى: {فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُون} أن القرآن الكريم يُغلق الباب في وجه كل قذارة جنسية في أي صورة من صورها غير هاتين الصورتين (إلا على أزواجهم أو ما ملكت

١- سورة إبراهيم: ٤٨.

٢- سورة المؤمنون: ١٠١.

أيمانهم)، وأنه ليس في أداء الوظيفة الطبيعية قذارة؛ لأن الله سبحانه هو الذي أودعها بالإنسان، بل إن القذارة في الالتواء بها وإرواء هذه الشهوة بطريقٍ غير مشروع.

المطلب الثالث: المقارنة بين المؤمنين والكافرين

بيَّن الله عز وجل في سورة المعارج بوضوح الفرق بين حال المؤمنين وحال الكافرين.

حال الكافر	حال المؤمن	الإحالة
هَلُوعًا-جَزُوعًا- مَنُوعًا	إِلاَّ الْمُصَلِّين	يُستثنى بإلا من هذا الهلع المصلون الموصوفون بكل هذه الصفات الطيبة التالية الذكر
فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا	هُم عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُون- بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُون لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُون...	الإحالة بضمير الجمع للغائب (هم) قد بينت الفرق العظيم بين أهل الطاعة والإيمان وأهل العصيان واللهو واللعب
فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِين* عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِين	ونراه قريبا	حال الكَفَرة المسرعين في التكتل وهم معرضون مكذبون، بينما المؤمنون موقنون ومصدقون بوعد الله
يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيه	فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُون	لن يقبل من الكافر ملء الأرض ذهبًا ليفتدي به ولو أراد بكل عزيز لديه
خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ	أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُون	في الإحالة بيان لحال الكافرين من الذل والهوان مقارنة بحال المؤمنين المكرمون

فها هو حالهم من الهلع والجزع، وكأن سائلًا طرح هذا السؤال، فأجيب بأن الصفة ليست عامة على كل الناس، بل هناك صفات مَن تحلى بها لم يتَّصِف بهذا الهلع، أو بعبارة أخرى: كل إنسان "خُلِق هلُوعًا إلا المصلين"، والمُنفِقين، والمؤمنين باليوم الآخر، والخائفين من العذاب، والحافظين لفروجهم، المراعين لأماناتهم وعهودِهم في العقائد

والأبدان والممتلكات، القائمين بشهادتهم الإيمانية والقضائية، المحافظين على الصِّلة الربانية.

يقول الله تعالى: {فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِين* عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِين}، حال الكَفَرة المسرعين في التكتل في وحدات صغيرة "عضين" مختلفة ومتمايزة، ولكنها متَّفقة في الإعراض عن الحق، أيطمَعُ مِثل هؤلاء المعرِضين في جنات النعيم ودخولها– حتى لمجرد المشاهدة والسياحة؟! وكان الزجر والنفي بـ (كلا).

المبحث الثالث: أثر الإحالة في التماسك النصي

التماسك النصي نتيجة وهدف وليس وسيلة؛ إذ يسعى إليه المنتج ليسم به أعماله، وهو نتيجة لأدوار اللغة المختلفة بداية من الحرف إلى أعلى مستوى لغوي، وهو من أدوار المتلقي أيضًا، ويسعى كل من المنتج والمتلقي إلى إبراز الدلالة بأكمل وجه.

وذهب دي بوجراند في حديثه عن التماسك إلى أن السبك هو أحد المعايير التي تجعل النص مترابطًا، فالتماسك مجموعة من العلاقات اللفظية والدلالية بين أجزاء النص، تلتحم هذه الأجزاء وتتماسك مع بعضها بحيث إذا غاب هذا الالتحام ظهر النص وكأنه أشلاء ممزقة، لا رابط بينها فبدون التماسك لا وجود للجملة ولا النص[١].

المطلب الأول: أثر الإحالة في التماسك النصي على مستوى التركيب

– الباء في {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}، باء زائدة للتأكيد وفي نظر البعض تعني (عن)، وفِيهِ "تَضْمِينٌ دَلَّ عَلَيْهِ حَرْفُ "الْبَاءِ"، كَأَنَّهُ مُقَدر: يَسْتَعْجِلُ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ، كَقَوْلِهِ: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ} أَيْ: وَعَذَابُهُ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ، ففِي قَوْلِهِ: تَعَالَى {سَأَلَ سَائِلٌ} دَعَا دَاعٍ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ يَقَعُ فِي الْآخِرَةِ"[٢]، قَالَ: وَهُوَ قَوْلُهُمْ: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[٣]، وفيه بيان جُرْأة الكافر في استعجال العذاب.

– قال تعالى: {تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ}، نلاحظ وجود الفاعل الظاهر (الْمَلائِكَةُ)، وقد ذكر المفسرون أنه من باب عطف الخاص على العام إذا كان المقصود بـ(الروح) هو جبريل عليه السلام، والمعطوف مرفوع، والهاء في إليه تعود على الله عز وجل.

– نجد كلمة يوم مجرورة بحرف الجر في قوله: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}، ونجدها منصوبة في قوله: {يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ}، لـ(يوم) احتمالات متعددة في

١– رويرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، ترجمة د.تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.ص: ١٠٣

٢– إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤ هـ. تفسيره ، ج٨/٢٢٠

٣– سورة الْأَنْفَالِ: ٣٢

الإعراب، ولكن الأفضل أن يكون بدلًا من (قريبًا) في الآية السابقة أو متعلقًا بفعل محذوف مثل (اذكر)، ونجد أيضًا كلمة (يوم) في قوله: {يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ}، {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}.

– وفي قوله: {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُون}، و(يوم يَخْرُجُونَ) يجوز أن يكون بدلًا من (يومهم)، وأن يكون منصوبًا بإضمار فعل، و(سراعًا): حال من الضمير في (يَخْرُجُونَ)، أي: متبادرين غير متباطئين إلى موقف الحساب، وكذا (كَأَنَّهُمْ) حال[١].

– وقوله: {إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُون}، في الكلام حذف، والتقدير: يسرعون إلى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون إلى نصبهم.

فنجد أن جوّ السورة والسياق في الكلام عن يوم الدين، وختم السورة بالكلام عنه، كان مناسبًا؛ فقد خصه بالذكر من بين أركان الإيمان الأخرى؛ ليأتي في آخرها بخطاب أيضًا لنبيِّهِ قائلًا له: ﴿فَذَرهُم يَخوضوا وَيَلعَبوا حَتّى يُلاقوا يَومَهُمُ الَّذي يوعَدونَ﴾، ونرى طمع الكفّار في غير مطْمع، وذُلّ الكافرين يوم القيامة في قوله: {تَرْهَقُهُمْ ذِلّة}.

– جاء الأمر المؤكد بالمصدر الموصوف بجميل الصفات في قوله –سبحانه وتعالى– لنبيه: ﴿**فَاصبِر صَبرًا جَميلًا**﴾، فطلب الله من نبيه جميل الصبر، والمعنى: اصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى تَكْذِيبِ قَوْمِكَ لَكَ، صبرا لا تشوبه شائبة.

– الفعل المضارع {تَدْعُو}، "يجوز أن يكون مستأنفًا، ويجوز أن يكون صفة لقوله: {نزاعة}، وأن يكون حالًا من المنوي فيها، وأن يكون خبرًا بعد خبرٍ لـ إن"[٢].

– قَالَ: **{إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا*وَنَرَاهُ قَرِيبًا}**، (بعيدًا): مفعول به ثان، ومثله (قريبًا)، والرؤية الأولى بمعن الظن والاعتقاد وهي رؤية الكافرين المكذبين، بينما الرؤية الثانية من العلم واليقين، وهي رؤية المؤمنين الصادقين، والضمير المنصوب في (يرونه) عائد على

١– المنتجب الهمذاني (ت ٦٤٣هـ)، الفريد في إعراب القرآن المجيد، ج٦/٢٢٥.

٢– المنتجب الهمذاني (ت ٦٤٣هـ)، الفريد في إعراب القرآن المجيد، ج٦/٢١٨.

العذاب، "وقيل: لهذا اليوم، وقوله: {يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ}، يجوز أن يكون معمول (نراه)، وأن يكون بدلًا من قوله: (قريبًا) وأن يكون معمول محذوف، أي: يقع، دل عليه (واقع)، وأن يكون في موضع رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: وقوعه يوم تكون"[١].

– وفي الضمير المستتر المبني للمجهول (هو) والاستثناء إحالة، فهي تصور النفس البشرية في السراء والضراء، ففي حالة الخواء من الإيمان **(إِنَّ ٱلإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا)**، وفي حالة تنوّرها بنور الإيمان **(إِلَّا ٱلمُصَلِّينَ)**.

– فنجد اسم الإشارة للبعيد (أُوْلَئِكَ) مبني في محل رفع مبتدأ في قوله: **{أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُون}**، أي: الموصوفون بهذه الصفات التي بيناها وذكرناها آنفًا، فهم المحافظون على خصال الخير، ففيه إحالة لما سبق، وقوله: (في جنات) يجوز أن يكون من صلة (مكرمون)، وأن يكون من صلة محذوف على أن يكون خبرًا بعد خبر ل (أُوْلَئِكَ).

المطلب الثاني: أثر الإحالة في التماسك النصي على مستوى الدلالة

إن هناك علاقات خفية غير ظاهرة، تجعل النص وحدة دلالية، تلك آليات الانسجام النصي، والمتلقي هو الذي يمكنه التوصل إلى هذه الآليات، حيث إن له دورًا كبيرًا في الحكم على مدى انسجام النصوص وترابطها؛ لأنه يفك شفرة النص ويقرأ ما وراءه.

إن العلاقات الدلالية "مجموعة من العلاقات تجمع أطراف النص، وتربط بين متواليات، أو بعضها، دون بدو وسائل شكلية تعتمد على ذلك عادة"[٢]، مثل: الأضداد، والإجمال والتفصيل، والعموم والخصوص، والسببية،... إلخ، وهي علاقات لا يكاد يخلو منها نص ذو وظيفة تفاعلية وإخبارية، يهدف إلى تحقيق درجة معينة من التواصل، سالكًا في ذلك بناء اللاحق على السابق"[٣].

يُحدَّد سياق السورة بما "يكون من بداية السورة حتى منتهاها، وهو السياق العام"[٤]؛

١– المرجع السابق، ح٦/ ٢١٩.

٢– محمد خطابي، لسانيات النص، ص: ٢٦٨.

٣– المرجع السابق، ص: ٢٦٩.

٤– المثنى عبد الفتاح، نظرة السياق القرآني، ص: ٧٧.

إذ بُني القرآن على سور متفرقة، لكنها متماسكة متكاملة، يجمعها غرض واحد يبينه سياقها، وفي ذلك يقول الدكتور محمد دراز: "لو عمدنا إلى سورة من سور القرآن الكريم التي تتناول أكثر من معنى واحد -وما أكثرها- ونظرنا فيها كيف بُدئت؟ وكيف ختمت؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت؟ فلن تجد في نظام معانيها ومبانيها ما تعرف به أنها أكانت نزلت في نجم واحد أم نجومًا شتى... فإذا هي -لو تدبرت- بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول"[١].

يتضح ذلك في قوله تعالى: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}، فالإجابة عن سؤال لقصة منكري العذاب والحساب، وجاء الرد البيّن من الله بأنه آتٍ لا محالة، وظهر ذلك جليًّا في الضمير (له).

يقول تعالى: {عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ}، نلاحظ ضمير المتكلم المستتر (نحن) في قوله: (نبدل)، والضمير البارز (نحن)، العائديْن على الله -عز وجل- يدلان على العظمة والرفعة.

يتضح أيضًا في قول الله -عز وجل-: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} كَأَنَّهُ مُقَدر: يَسْتَعْجِلُ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ، وهو كَقَوْلِ الله -عز وجل-: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ}[٢]، أَيْ: وَعَذَابُهُ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ. وكَقَوْلِهِ: {يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ}[٣]. وفي سؤال منكري العذاب للرسول -صلى الله عليه وسلم-، وكان الرد في قول الله عز وجل: {سأل سائل بعذاب واقع}، ثم أردف بقوله: {للكافرين ليس له دافع* من الله}، تفصيل بعد إجمال، وأيضًا نراه في قول الله -عز وجل- في الإخبار عن اليوم: {يوم تكون السماء كالمهل* وتكون الجبال كالعهن* ولا يسأل حميم حميمًا}.

١- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ط١٠، دار القلم، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص: ١٤٩-١٥٠.

٢- سورة الحج: ٤٧.

٣- سورة الشُّورَى: ١٨.

يقول الله: {يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ* وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ* وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ}، وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ كَقَوْلِهِ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ}(١).

قَالَ تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}، أَيْ: هم عَلَى مَوَاقِيتِهَا وَأَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَمُسْتَحَبَّاتِهَا "فَافْتَتَحَ الْكَلَامَ بِذِكْرِ الصَّلَاةِ وَاخْتَتَمَهُ بِذِكْرِهَا، فَدَلَّ عَلَى الِاعْتِنَاءِ بِهَا وَالتَّنْوِيهِ بِشَرَفِهَا، كَمَا تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ سُورَةٍ: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} ؛ سَوَاء لِهَذَا قَالَ هُنَاكَ: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(٢)، وَقَالَ في سورة المعارج: {أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ} أَيْ: مُكْرَمُونَ بِأَنْوَاعِ الْمَلَاذِّ وَالْمَسَارِّ "(٣).

وكذلك نجد العلاقة المتقابلة بين حال المؤمنين وحال الكافرين في المواقف الآتية:

أ- تكذيب الكافرين بالعذاب والحساب، في حين يتَيَقنَ المؤمنون من وعد الله وإيمانهم به.

ب- تلظي الكافرين بالعذاب، في حين نرى المؤمنين يتمتعون وهم في جنات مكرمون.

ت- تعلو وجوه المكذبين الضالين غبرة وذلة وصغار في حين يأتي المؤمنون أعزة مكرمين.

ث- موقف الكافرين المكذبين في عرصات يوم القيامة من أهلهم وذويهم، فالمجرم يود أن يفتدي نفسه من هول العذاب -في محاولة يائسة مستحيلة- بكل ما يملك من مال وأهل وعشيرة، وعلى الجانب الآخر يطمع المؤمنون في عفو الله عنهم وقد صدقوا الرسول -صلى الله عليه وسلم- واتبعوه، فهم المصلون المتصدقون الحافظون حدود الله.

١- سورة لُقْمَانَ: ٣٣.

٢- سورة الْمُؤْمِنُونَ: ١٠، ١١.

٣- إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤ هـ، تفسيره ج٨/ ٢٢٧.

– يرى ابن كثير أَنْ الْمُرَادَ بِالرُّوحِ جِبْرِيلُ عليه السلام، وَيَكُونُ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ[١].

– وهنا نلاحظ أن الإحالة بين الألفاظ والمواقف كان لها دور عظيم في تماسك النص وتماسكه.

المطلب الثالث: أثر الإحالة في التماسك النصي على مستوى النص الكلي

تتأثر الإحالة الخارجيّة بمقومات سابقة يعيش في كنفها السّامع أو القارئ؛ إذ تكون مقومات تلك الإحالة مقومات اجتماعيّة أو اقتصاديّة أو بيئيّة، وينشأ المتلقي بتلك الظروف ويتأثر بها ثم يأتي النّص، وقد جعل في علمه وأولياته تلك المقومات حتى يُراعي مُنشئ النّص مدى تأثر المتلقي بالنّص واستيعابه له.

"تعتمد الإحالة لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف شأنها في ذلك شأن الإحالة لمذكور سابق والإحالة لمتأخر"[٢]، وتعتمد الإحالة الخارجيّة على غير مذكور في النّص بل على مواقف مسلَّمة ومعلومة عند المتلقي، "وتعتمد الإحالة لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف"[٣].

ويعرفها جمعان عبد الكريم: "إنَّ النّص بكامله عنصر إحاليّ إلى الخارج أو الموقف على الرّغم من تسليمنا بالعمليات الذّهنيّة كافة في الإنتاج والتّحليل التي يخضع لها النّص"[٤].

لذا تشكل الإحالة المقاميّة الإطار العام الذي يُظهر المطلب الرئيس من نشأة النّص، فالإحالة المقاميّة "تُساهم في خلق النّص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنَّها لا

١– إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤ هـ، تفسيره ٨/٢٢٠.

٢– روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ص ٣٣٢.

٣– روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ٣٢٢.

٤– جمعان عبد الكريم، إشكالات النّص المداخلة أنموذجًا–دراسة لسانية نصيّة: ٣٤٩.

تساهم في اتساقه بشكل مباشر"[١]، والاتساق في النّص يرجع إلى النّص نفسه بما فيه من أسباب يطلبها السّبك، ولا بد للإحالة المقاميّة من مرجعيّة سابقة يُحيل إليها النّص؛ إذ يُعنى هذا النّوع من الإحالات بالسّياقات والمواقف المحيطة بالنّص والمؤثرة في نشأته[٢].

ونجد هذا واضحًا ظاهرًا في سور المعارج، نبينه في الآتي:

من وسائل اتساق النص وسيلة معنوية نقصد بها هنا موضوع النص، أو العنوان الذي يربط بن أجزاء النص، ويجمع البنى الصغرى المكونة للنص في بنية كبرى متمثلة بالنص ككل، فنلاحظ عنوان السورة التي بين أيدينا (المعارج)، فـ(ذي المعارج) صفة لله، والمعارج الدرجات، واحدها مِعرج، وهو آلة العروج، "ويجوز أن يكون مَعرجًا بفتح الميم على أنه موضع العروج"[٣].

مناسبة بين أول السورة وختامها:

حيث تبدأ السورة بسؤال، وهو عرض مثال لأحد منكري يوم القيامة الذي عبر عن إنكاره بهذا التساؤل (سَأَلَ سَآئِلُ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ)، هذا التساؤل الذي يحمل في طياته استهزاءً وكبرًا، ثم تكون الإجابة الشافية بحتمية وقوعه، بالإحالة بضمير المفرد الغائب في (له)، فهو ليس له دافع.

ثم تأتي الخاتمة مركَّزة، مرصوصة اللَّبِنات، واضحة المعالم، متناسقة مع العرض، ملتحمة به التحام المقدمة بأوله، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾.

تسبق سورةَ المعارج (٧٠) في الترتيب المصحفي سورةُ الحاقة (٦٩)، وهي سورة مكية ونجد التناسب بين السورتين واضحًا جليًّا، فالمواضيع التي تتناولها سورة الحاقة تعدّ مقدمة لما تتحدث عنه سورة المعارج، وتتناسب وتتناسق سورة المعارج مع سورة الحاقّة التي سبقتها بالإعلام بأن ذلك اليوم الذي يوعدون هو يوم "الحاقة" ويوم "القارعة"، وأثبتت

١- محمد خطابي، لسانيات النّص: ١٧.

٢- صبحي إبراهيم، علم اللغة النّصي: ٤١.

٣- المنتجب الهمذاني، الفريد في إعراب القرآن المجيد، ج٦/٢١٩.

حقيقة وقوعه بالقدرة على إهلاك الأمم في أولها، وبأنباء أحداثه ووجوبه في أوسطها، وبالقسم {وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ}[١] في آخرها.

وقد أعقبها على نفس السياق سورة نوح: عن إرسال المرسلين واستنفاد كل الوسائل والسّبل في الدعوة إلى اتباع الوحي والنذير من العذاب، ثم ذكر حالهم إذ ذاك يوم {يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه}، ثم أتبع بأن ذلك لا يغني عنه ولا يفيده {إنها لظى}، ثم ختمت السورة بتأكيد الوعيد وأشد التهديد {فذرهم يخوضوا ويلعبوا}، إلى قوله {ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون}، ذلك يوم الحاقة ويوم القارعة.

بيَّن البحث إسهام الإحالة الخارجيّة في تماسك سورة المعارج بالسّورة التي سبقتها في النّزول وهي سورة الحاقة؛ إذ ظهرت كوحدة متكاملة في إظهار أهمّيّة العقيدة بوحدانيّة الله وتوحيده عن طريق الإيمان بما جاء به رسوله، وأثر الإيمان في قلوب المؤمنين وإظهار عناد الكافرين بما سيلاقونه من نهايات غير حميدة.

إنه جمال القرآن، ووحدة موضوعات سوره، وانسكاب عِطرها على صفحات القلوب، ينبت الإجلال والإكبار لهذا النَّظْم البديع الذي لا يستطيع جِنٌّ أن يجاريه، ولا بشر أن يحاكيه، ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٢].

١- سورة الحاقة، ٥١.

٢- الإسراء: ٨٨.

الخاتمة:

- تشكل الإحالة جسورًا كبرى للتواصل بين أجزاء النص المتباعدة وتربط بينها ربطًا واضحًا، وهو ما يؤكد أهميتها في اتساق النص، وتلك الجسور هي التي تربط السابق باللاحق أو اللاحق بالسابق، أو النص بالعالم الخارجي.
- تظهر أهمية الإحالة في البحث ودورها في تماسك النّص؛ إذ تعرض الإحالة النّص كوحدة متكاملة متسقة من الدّاخل ومع الظروف الخارجية التي أسهمت في إنتاج النّص، وتعتمد في مرجعياتها على آراء نحاة العرب وما أسسوا له في أهمية الضمير في تماسك النّص.
- نجد الضمائر من بين الوسائل التي تحقق الترابط والتماسك الداخلي والخارجي للنص، والغالب على هذه السورة الإحالة النصية وخصوصًا منها الإحالة إلى سابق، لكون هذا العنصر أكثر انتشارًا، فقد أسهم في سورة المعارج بدور فعالٍ في نسيج النص، كما تبين أن أغلب الإحالات إلى سابق، وأغلب هذا النوع هو الضمائر.
- وجود الضمير يدل على تعلق الجملة بصاحب الضمير، فلولا وجوده لنشأ اللبس في فهم الانفصال بين الجملتين، وتقوم الإحالة على عنصرين، هما: اللفظ المحيل واللفظ المحال إليه، وتربطهما علاقة التطابق الدلالي.
- تنوعت الضمائر في سورة المعارج بين ضمائر وجودية وضمائر الملكية، وقد ساهم الضمير المستتر في اتساق النص القرآني؛ لأنه يحدد الفاعل المراد اعتمادًا على ما ورد في التركيب السابق.
- تحقق الإحالة التماسك النصي من خلال الربط بين السابق واللاحق، وإن هناك علاقات خفية غير ظاهرة، تجعل النص وحدة دلالية، تلك آليات الانسجام النصي.

توصيات:

شكلت الإحالة الضميرية من نص سورة المعارج، نسيجًا تعبيريًّا مترابطًا ربطًا دقيقًا محكمًا، فقد كانت بمثابة الجسر الذي يربط محاور السورة، ومنحت النص بلاغة تعبيرية

عن طريق سبك الجمل في سورة المعارج، وهذه الإحالات الضميرية تبني علاقات تواصلية بين النص والمتلقي أو القارئ له؛ لذا يرى الباحث أن من أهم التوصيات التعمق في دراسة الإحالة بشكل عام والإحالة الضميرية بشكل خاص، وتأصيل هذه الدراسة بما يفتح آفاقًا جديدة رحبة في علم الدراسات النصية وفهم النص.

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.

٢- إبراهيم بن السري بن سهيل، أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٤- أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النّص، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، دط، دت.

٥- براون.ج.يول، تحليل الخطاب، ترجمة: د. محمد لطفي الزليطي- د. منير التريكي، النشر العلمي والمطابع- جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٦- أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت٦١٦هـ)، إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، المكتبة العلمية- لاهور.

٧- أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت٣٣٨هـ)، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.

٨- جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٩- جمعان عبد الكريم، إشكالات النّص المداخلة أنموذجا-دراسة لسانية نصية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٩م.

١٠- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط ١٤٢٠هـ.

١١- روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٢- سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب- القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

١٣- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة بين النظرية والتطبيق، دار قِباء للطباعة والنشر، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠٠٠م.

١٤- عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

١٥- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي-بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

١٦- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٧- محمد خطابي، لسانيات النّص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

١٨- مشري أمال، الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه "عيون البصائر" أنموذجا، جامعة محمد خيضر بسكرة - الجزائر، مقال نشر في مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد ٣٦.

١٩- وندوقة فوزية، ضمائر العربية، المفهوم والوظيفة، مجلة كلية الآداب للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع٦، جانفي ٢٠١٠، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

٢٠- يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت٦٤٣هـ)، شرح المفصل، تحقيق: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.